

مواقف باكستان وأفغانستان وآسيا الوسطى من العدوان على غزة.. بين دور مرجو وواقع صادم

سمير سيد سطوحى

إلى دولة باكستان التي انشغلت بالتحقيق في هذه المسألة طوال العدوان الإسرائيلي على غزة وفيما بعد وقف إطلاق النار، إلى أن انتهى الأمر بإقرار وزير الداخلية بأن هذه الهجمات دُبرت جزئياً داخل باكستان.

أما على الصعيد الداخلي فيمكن رصد ثلاثة تطورات مهمة في هذا الشأن، أولها: استمرار أعمال العنف والتفجيرات التي تقوم بها الجماعات الإسلامية المتشددة وتحديداً مسلحو طالبان -باكستان في الداخل الباكستاني. ثانيها: المارك الطاحنة بين الحكومة ومتشديدي حركة تطبيق الشريعة في إقليم وادي سوات بمعاونة طالبان- باكستان إلى أن نجحت الحركة في توقيع اتفاق سلام في فبراير الماضي مع الحكومة يقضي بتطبيق الشريعة الإسلامية في هذا الإقليم. وثالثها: قيام الولايات المتحدة الأمريكية بتوجيه ضربات صاروخية استهدفت بها القاعدة وطالبان في شمال غربي باكستان.

وقد كان لهذه الأحداث جميعها انعكاسات على موقف باكستان الرسمي من أحداث غزة؛ حيث جاء متباطئاً متقطعاً بروتوكولياً لا يتناسب مع ما هو متوقع من دولة تعد من أكبر الدول الإسلامية في العالم، وذلك في مقابل الموقف غير الرسمي الذي وإن كان قد جاء متأخراً إلا أنه كان إيجابياً متوهجاً ومعبراً عن عاطفية الشعب الباكستاني إزاء القضايا العربية والإسلامية.

وفيما يلي رصد لأهم الخطابات والبيانات والممارسات التي توضح موقف دولة باكستان على المستويين الرسمي وغير الرسمي، يعقبه تحليل موجز لأهم الدلالات المنبثقة من هذا الرصد.

مقدمة:



شكل العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة الحلقة المكتملة للحصار الذي ضرب

على القطاع منذ أن سيطرت حماس عليه بعد فوزها في الانتخابات التشريعية. فلما فشل الحصار في تحقيق أهدافه بإسقاط حماس وتأييب الجماهير عليها، شنت إسرائيل هجوماً على القطاع بعد أن تأكد لها استغلال حماس فترة الحصار في إعادة التنظيم العسكري والاستعداد للقتال.

ومع وضوح هدف الحرب على غزة والمتمثل في القضاء على الحركات الإسلامية المقاومة بالإضافة إلى ضرب البنية المدنية المؤيدة لها، يصح إدراج هذه الحرب ضمن سلسلة الحروب الحضارية.

ومواجهة مثل هذه الحروب تقتضى وعياً عميقاً وموقفاً تكاملياً موحداً فيما بين الأمة الإسلامية، تقتضى متابعته وتقويم مساره خاصة لدى تلك الدول التي واجهت ولا تزال تواجه أشكالاً من هذه الحروب كأفغانستان وبعض المناطق القبلية في باكستان، فضلاً عن دول آسيا الوسطى التي تشهد حروباً خفية لكبح جماح الصحوة الإسلامية المتنامية فيها.

باكستان

جاءت مجزرة غزة في زخم هائل من الأحداث المتوالية التي شهدتها باكستان على الصعيدين الخارجي والداخلي، فعلى الصعيد الخارجي يتجلى توتر العلاقات الهندية الباكستانية بسبب التفجيرات التي استهدفت مدينة بومباي الهندية نهاية نوفمبر من العام المنصرم ٢٠٠٨، حيث وُجّهت أصابع الاتهام

أولاً: الخطابات والممارسات الباكستانية إزاء الحرب على غزة:

١- الموقف الرسمي:

أثناء العدوان الإسرائيلي على غزة:

في بداية العدوان وتحديداً في ٢٨ من ديسمبر أدان كل من الرئيس آصف علي زرداري ورئيس وزرائه يوسف رضا جيلاني الهجمات الإسرائيلية على قطاع غزة، كما دعا الرئيس آصف علي زرداري إلى وقف العمليات العسكرية والعنف الذي تسبب في خسائر في الأرواح، مؤكداً أن هذه الهجمات غير مشروعة بموجب الميثاق الدولي وتأتي بنتائج عكسية.

كما دعا زرداري المجتمع الدولي لدعم ترتيبات سلام عادلة، وقد أكد جيلاني أن باكستان دائماً ما تدعم التسوية العادلة والسلمية والدائمة للقضية الفلسطينية^(١).

وفي ذات الوقت أعرب وزير الخارجية شاه محمود قرشي عن قلقه إزاء الوضع المؤسف في غزة نتيجة الهجمات الإسرائيلية التي راح ضحيتها أكثر من مائتي شخص، وأكد أن هذا العنف الذي أدى إلى تفاقم المعاناة الإنسانية والصعوبات الاقتصادية لسكان غزة سيؤدي إلى تفاقم النزاعات وتوسيع التوتر في المنطقة وتقويض الجهود الساعية إلى التوصل إلى حل سلمي للقضية الفلسطينية^(٢).

وفي نهاية ديسمبر الماضي ذكر المتحدث باسم وزارة الخارجية محمد صديق في تصريح للصحفيين موقف بلاده قائلاً: «إن باكستان لن تقيم علاقات مع إسرائيل ما لم تحل القضية الفلسطينية بطريقة عادلة تضمن حقوق الشعب الفلسطيني»^(٣).

وقد شاركت باكستان في الاجتماع الوزاري الاستثنائي للجنة التنفيذية لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في الثالث من يناير الماضي، حيث ألقى وزير الدولة للشؤون الخارجية (مالك عماد خان) بياناً متضمناً موقف بلاده من العدوان الإسرائيلي على غزة، والذي يمكن إيجازه في النقاط التالية:

- الصدمة المروعة من جراء هذا الكم من الهجمات الذي تسبب في خسائر بشرية ضخمة.

- التعبير عن مشاركة باكستان لآلام الشعب الفلسطيني وعن التأييد الكامل والتضامن معهم في هذا الوضع المفصلي.

- الإدانة العميقة للعدوان الذي يشكل انتهاكاً لاتفاقيات حقوق الإنسان واتفاقيات جنيف.

- اللجوء للقوة دائماً ما يأتي بنتائج عكسية فلا يحل المشكلة بل يفاقمها ويقوض أي جهود رامية لتحقيق سلام في المنطقة.

- الدعوة إلى الوقف الفوري لهذه الاعتداءات وحماية حقوق الشعب الفلسطيني.

في باكستان يجهل البعض حقيقة القضية الفلسطينية برمته

- الحاجة لتحقيق الوحدة والتماسك داخل الصفوف الفلسطينية.

- تأييد جميع المبادرات التي تهدف إلى إنهاء دائرة العنف والحصار المفروض على غزة مع حماية الفلسطينيين وإمدادهم بالمساعدات الإنسانية. وعلى المجتمع الدولي مضاعفة جهوده لإحلال ترتيبات الحل السلمي العادل للقضية الفلسطينية على أساس مبدأ الأرض مقابل السلام مع تأكيد تأييد خطة السلام العربية.

- دعم جميع مبادئ منظمة المؤتمر الإسلامي التي تتعلق بفلسطين والقدس الشريف، مع تأكيد ضرورة اتخاذ المنظمة موقفاً مُجمَعاً في جانب الشرعية والعدل يتجاوز مجرد تخفيف الآلام الإنسانية الناجمة عن هذه الهجمات إلى تنسيق جهود الدول الأعضاء داخل الأمم المتحدة. وفي إطار تفعيل دور المنظمة تم اقتراح عقد قمة طارئة للمنظمة.

- تعاون الدول الأعضاء بالمنظمة مع الاتحاد الأوروبي لإحداث تأثير جمعي في سبيل منع أي اعتداءات أخرى.

- دعوة المجتمع الدولي لدعم حقوق الشعب الفلسطيني بما فيها الحق الأصيل لتأسيس دولة مستقلة على أراضيهم^(٤).

وفي منتصف يناير الماضي طالبت باكستان مجلس الأمن الدولي بتوفير الحماية للمدنيين الفلسطينيين في قطاع غزة الذين يتعرضون للموت نتيجة الاعتداءات الإسرائيلية. حيث عبر عن ذلك المندوب الباكستاني الدائم في الأمم المتحدة فرخ أميل خلال مداوات تتعلق بحماية المدنيين في الصراعات المسلحة، مؤكداً فشل مجلس الأمن الدولي في القيام بمسؤولياته الأولية وفق ميثاق الحفاظ على السلام والأمن الدولي^(٥).

وفي التوقيت ذاته عبّر المتحدث باسم وزارة الخارجية عن موقف بلاده من العدوان بذات العبارات التي سبق أن أوردها وزير الخارجية قريشي في بيانه، ثم أعقب ذلك بالإشارة إلى أن البرلمان الباكستاني مرر قراراً بالإجماع يدين الغارات الإسرائيلية على غزة، ويدعو القرار إلى وقف فوري للهجمات الإسرائيلية في قطاع غزة، وحث إسرائيل على فتح جميع الطرق حتى يتسنى توفير إمدادات الإغاثة والدواء للفلسطينيين^(٦).

بعد وقف إطلاق النار:

اقتصر الموقف الرسمي في تلك الفترة على إرسال طائرة واحدة تحمل مساعدات إنسانية مقدمة من الحكومة والشعب الباكستانيين إلى سكان غزة، وقد اشتملت هذه المساعدات على

التواصل ضد قطاع غزة، واحتجاجاً على الصمت الإسلامي والعالمي لهذه المجزرة، كما طالبت المشاركات بفتح باب الجهاد ضد اليهود. وحملت المسيرة النسائية الغاضبة، الولايات المتحدة، مسئولية دعم الاحتلال الإسرائيلي مالياً وتقنياً ودولياً في مجزرتة الجديدة. وحملت النساء لافتات كتبت عليها عبارات «قاطعو أمريكا وإسرائيل»، وارتدت كثير منهن عصابت للرأس تدعو للجهاد ضد إسرائيل اللاتي وصفنها بأنها «أكبر تهديد للسلام العالمي»^(١٢).

واللافت للنظر في هذه المسيرة الاحتجاجية مشاركة آلاف من أطفال المدارس حيث حمل عدد منهم لافتات تدعو للجهاد وأخرى تصف أمريكا وإسرائيل والهند بالشياطين، كما أحرقوا العلم الإسرائيلي^(١٣).

كما خرجت مسيرات أخرى بدعوة من الجماعة الإسلامية وسط دعوات لجمع التبرعات لصالح أهل غزة وتشكيل لجان خاصة. كما خرج آلاف المواطنين في مختلف المدن بدعوة من حزب الرابطة الإسلامية جناح نواز شريف، للتظاهر ضد العدوان الإسرائيلي^(١٤).

التحركات والتصريحات النخبوية

أ- حزب الجماعة الإسلامية:

وصف أمير الجماعة قاضي حسين أحمد، الرئيس أصف علي زرداري وحكومته بالعملاء للولايات المتحدة، وذلك أمام الآلاف من أنصاره الذين خرجوا رجالاً ونساءً وأطفالاً في مظاهرة بالعاصمة إسلام آباد.

كما انتقد أحمد تكريم الرئيس زرداري لنائب الرئيس الأمريكي المنتخب جو بايدن أثناء زيارته الأخيرة لإسلام آباد بوسام قائد أعظم، مشيراً إلى أن إسرائيل تقتل الفلسطينيين بأسلحة أمريكية وحكام باكستان يكرمون مسؤولين أمريكيين دون أدنى مراعاة لمشاعر الفلسطينيين والأمم.

وقد دعا الزعيم الديني إلى مقاطعة البضائع الأمريكية، وحث شعبه على التبرع لنصرة أهل غزة^(١٥).

جدير بالذكر أن القاضي حسين أحمد كان أحد القادة الدينيين التسعة والتسعين الذين أصدروا بياناً عشية القمة الاقتصادية العربية التي عُقدت بالكويت يوم الإثنين التاسع عشر من يناير الماضي، حيث طالبت تلك القيادات بنصرة أبناء غزة، وسحب المبادرة العربية للسلام مع إسرائيل، والاعتراف بالمقاومة الفلسطينية في فلسطين، ودعمها بشتى أنواع الدعم المادي والمعنوي، مشددين على ضرورة وقف جميع أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني، محذرين من خطر إسرائيل وأمريكا الداعم الأول والمستمر لليهود في فلسطين المحتلة^(١٦).

عشرة أطنان من المواد الطبية، وكان في استقبال الطائرة التي وصلت عمان في السابع والعشرين من يناير الماضي السفير محمد أختر طفيل الذي عبر عن دعم باكستان للشعب الفلسطيني، وأن هذه المساعدات ما هي إلا أحد مظاهر العلاقات العميقة بين الشعبين الباكستاني والفلسطيني^(٧).

٢- الموقف غير الرسمي:

ألقى توتر العلاقات الهندية-الباكستانية بظلاله خلال الأيام الأولى من العدوان الإسرائيلي على التحركات الشعبية لمناصرة أهل غزة: حيث اقتصر تحرك الشارع على أفراد ومؤسسات المجتمع المدني، يضاف إلى ذلك الوضع الأمني الداخلي في البلاد والخوف من عمليات انتحارية عادة ما كانت تقع في شهر المحرم من كل عام، إلا أن فداحة العدوان الإسرائيلي واستمراره أخرجا الجميع عن صمتهم؛ حيث بدأت مسيرات الأحزاب السياسية تخرج تباعاً وراحت أحزاب المعارضة تقود زمام المبادرة وسط انتقادات لانعة لحزب الشعب الحاكم الذي لم يحرك ساكناً سوى بكلمات الشجب والاستنكار^(٨).

وبذلك يصعب الفصل التعسفي بين الموقف الشعبي والموقف النخبوي من العدوان الإسرائيلي على غزة: للتداخل بينهما، لذا سيتم رصد هذا الموقف من خلال صورته على النحو التالي:

- المسيرات الاحتجاجية والتظاهرات:

بدأت الاحتجاجات في اليوم التالي لبدء العدوان وذلك في مدن كبرى مثل إسلام آباد وكراشي وياهو وبيشاور ضد الهجمات الإسرائيلية وأظهرت عدم الرضا لفشل الأمم المتحدة في حماية الشعب الفلسطيني البريء^(٩).

وبعد أن وجه د. يوسف القرضاوي -رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين- نداءً إلى أبناء الأمة الإسلامية يدعوهم فيه إلى جعل يوم الجمعة ٩ من يناير يوماً عالمياً لنصرة قطاع غزة في مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية، تصاعدت الاحتجاجات الشعبية في باكستان حيث تجمع مئات المتظاهرين في عدة مدن احتجاجاً على العدوان الإسرائيلي. ففي إقليم بلوشستان، جنوب غرب البلاد بالقرب من الحدود الأفغانية، ردد المتظاهرون هتافات من بينها: «الموت لإسرائيل»، و«الموت لأمريكا»، و«الموت لبريطانيا». كما طالبوا بغلاق سفارتي إسرائيل والولايات المتحدة في باكستان، وإعلان الجهاد ضد إسرائيل^(١٠). ودعا بعض المتظاهرين إلى «الحرب المقدسة» ضد الدولة اليهودية، وهدف المحتجون شرق مدينة لاهور: «الموت لإسرائيل الحقاء»^(١١).

وقد بلغت الاحتجاجات ذروتها يوم الاثنين الثاني عشر من يناير الماضي حيث خرجت آلاف النساء في مسيرة احتجاجية ضخمة نظمها حزب الجماعة الإسلامية جابت الشوارع الرئيسية في مدينة كراشي، احتجاجاً على المحرقة الإسرائيلية

والمساعدات الأمريكية فضلاً عن رغبتها في التعاون العسكري مع الكيان الصهيوني لتحقيق نوع من التوازن العسكري مع الهند.

٣- تحرك الموقف الرسمي بعد سكون دام أكثر من خمسة عشر يوماً باتخاذ خطوات إيجابية داخل مجلس الأمن وإصدار قرار الإدانة من مجلس النواب الباكستاني، وذلك كأحد السبل لتحسين ماء الوجه بعد الانتقادات اللاذعة التي وجهتها أحزاب المعارضة للحزب الحاكم ولرئيس الدولة، وكذلك عقب المسيرات الاحتجاجية الضخمة التي شهدتها الداخل الباكستاني ضد العدوان الإسرائيلي على غزة.

٤- تصريح السفير طفيل أثناء استقباله طائفة المساعدات إلى أهل غزة والذي أكد غياب معنى التضامن بين أفراد الأمة الإسلامية في مقابل بروز قيم العلاقات الدولية بالمعنى الحديث.

٥- بروز الدلالات الحضارية في الموقف غير الرسمي متمثلاً في الدعوة لنصرة أهل غزة والمطالبة بالجهاد ضد إسرائيل في إطار ما يسمى بالحرب المقدسة على الدولة اليهودية.

٦- اشتعال الغضب الشعبي ليشمل إلى جانب إسرائيل كلا من الولايات المتحدة وبريطانيا بوصفهما من الدول الداعمة لإسرائيل على جميع المستويات وذلك في مقابل تكريم الرئيس زرداري لبايدن، والسماح لطائرات استطلاع أمريكية بشن غارات جوية ضد متشدي طالبان والقاعدة في مناطق القبائل شمالي غرب المحاذية للحدود مع أفغانستان. فضلاً عن الصمت الباكستاني الرسمي الناقد لمواقف هذه الدول في البيانات الرسمية الصادرة أثناء العدوان.

٧- توقف المظاهرات والاحتجاجات بعد وقف إطلاق النار بما يشير إلى التحرك العاطفي للشعب الباكستاني إزاء الوضع الإنساني المتردي في غزة، والغفلة عن الوضع السياسي. بل إن البعض يجهل حقيقة القضية الفلسطينية برمتها. وهي مسئولية مباشرة تقع على السلك الدبلوماسي العربي وكذلك على وسائل الإعلام الباكستانية المطبوعة والمشاهدة التي تتجاهل الوضع الفلسطيني وتفترق لمراسلين يغطون لها الأحداث هناك بأعين باكستانية وبما يهم المشاهد والقارئ الباكستاني.

أفغانستان

أفغانستان بلد يملك تاريخاً طويلاً في مقاومة الأجنبي والانصار عليه بدءاً من الإمبراطورية البريطانية مروراً بالإمبراطورية السوفيتية، وانتهاءً بالإمبراطورية الغربية ممثلة تحديداً في الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تنجح في تحقيق

وقد صرح غفور أحمد -العضو الرفيع في الحزب الذي نظم إحدى الاحتجاجات- بأنه «من المؤلم أن تواصل إسرائيل هجماتها على غزة على الرغم من تبني ١٤ عضواً في مجلس الأمن قراراً بوقف هذه الهجمات». وأضاف «إسرائيل لا تفعل ذلك إلا لأنها مدعومة من الرئيس الأمريكي جورج بوش»^(١٧).

كما انتقد مسئول بالحزب موقف منظمة الأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وجماعات حقوق الإنسان؛ لفشلهم في منع مجزرة الفلسطينيين، ودعا إلى فرض عقوبات دولية على إسرائيل^(١٨).

ب- حزب الرابطة الإسلامية:

انتقد المسؤول الإعلامي بالرابطة أحسن إقبال حزب الشعب الحاكم لتقاعسه عن القيام بواجبه في نصرة القضية الفلسطينية. وأشار إلى أن باكستان دولة نووية، وبإمكانها أن تفعل شيئاً عملياً على الأرض لو أرادت. وأضاف: «من العار أن يتخلى الرئيس زرداري عن مسؤولياته الآن، وهو أمام اختبار حقيقي». وأوضح أن رئيس الحزب نواز شريف يجري اتصالات مع عدد من القيادات العربية والإسلامية لتوحيد الجهود في وقف العدوان الإسرائيلي^(١٩).

ثانياً: الموقف الباكستاني.. رؤية تحليلية

١- استغراق باكستان في شأنها الخاص على المستويين الخارجي والداخلي بما يُعلي من مفاهيم المصلحة الوطنية في مقابل مفاهيم التضامنية والنصرة لقطاع حيوي داخل الأمة الإسلامية، ففي حين هبَّ الشعب الباكستاني سريعاً من غفوته بمساعدة الأحزاب السياسية استمر الموقف الرسمي الباكستاني ضعيفاً طوال العدوان فلم يصدر عن رئيس الدولة ورئيس وزرائه ووزير خارجيته سوى بيان واحد لكل منهما في اليوم التالي لبدء العدوان، وقد جاءت هذه البيانات في صورة أقرب للبيان الإعلامي، وكذلك الحال فيما بعد وقف إطلاق النار يشهد بذلك ضالة المساعدات المقدمة للتخفيف من الأوضاع الصحية والإنسانية التي يعانها أهالي غزة.

٢- اقتنار الحكومة على عبارات الإدانة والاستنكار ودعوة المجتمع الدولي والمنظمات الدولية لاتخاذ الترتيبات الملائمة دون اتخاذ موقف عملي قاطع إزاء العدوان الإسرائيلي، ويمكن أن يرجع ذلك إلى أن أحد الأماكن التي استهدفتها التفجيرات في مدينة بومباي الهندية كان مركزاً يهودياً، حيث قُتل منهم العديد واتخاذ مثل هذا الموقف من الممكن أن يثير حفيظة إسرائيل التي تميل القيادة الباكستانية للتطبيع معها بشكل تدريجي باعتبار ذلك نقطة العبور إلى كسب ود الولايات المتحدة والحصول على مزيد من الدعم

- التعبير عن مشاركة أفغانستان والشعب الأفغاني لآلام غزة، مع النهوض التضامني مع الشعب الفلسطيني.
- تأكيد خطورة استمرار الهجمات الإسرائيلية على قطاع غزة وتصعيدها بصورة وحشية خاصة فيما يتعلق بالمدنيين الأبرياء؛ حيث راح ضحية هذه الهجمات أكثر من ألف فلسطيني من بينهم حوالي أربعمئة من الأطفال بخلاف إصابة خمسة آلاف من الفلسطينيين معظمهم في حالة خطرة وأغلبهم من النساء والأطفال. وكل ذلك يوضح استخفاف إسرائيل بحقوق الإنسان خلال الصراع بما يمثل انتهاكاً للاتفاقيات الإنسانية الدولية واتفاقيات حقوق الإنسان.
- عرض مأساة أهل غزة خاصة مع عرقلة وصول إمدادات الإغاثة والمساعدات الإنسانية وإصابة الأهداف المدنية كالمدارس والمساجد.
- ما توصل إليه اجتماع الأونروا من وجود خلل في التشريعات الدولية الملزمة لإسرائيل باعتبارها إحدى الدول الأعضاء بالأمم المتحدة ومن ثم ضرورة تكريس الجهود غير العادية لوكالات الأمم المتحدة وقيادتها لبحث سبل مواجهة مثل هذه الظروف المؤسفة.
- تأييد ما توصل إليه مجلس الأمن من إدانة جميع أشكال العنف الموجه للمدنيين والدعوة لتطبيق القرار ١٨٦٠ مع وقف فوري لإطلاق النار مصحوباً بانسحاب كامل من قطاع غزة مع بدء مفاوضات السلام، هذا فضلاً عن السماح بوصول المساعدات الإنسانية للمنكوبين.
- ضرورة إيجاد حل داخل دولتي إسرائيل وفلسطين يضمن التعايش جنباً إلى جنب داخل حدود آمنة ومُعترف بها، واعتبار ذلك هو السبيل الوحيد لإقرار الأمن والسلام للأطراف كافة.
- الحاجة لدفع المفاوضات بعد وقف إطلاق النار بمشاركة الأطراف الفاعلة في المنطقة (مع الإشادة بالجهود المتواصلة لمصر وجامعة الدول العربية) وكذلك بعض الأطراف الدولية جنباً إلى جنب مع الدور المحوري للسلطة الفلسطينية برئاسة محمود عباس.
- دعم دعوة الأمين العام للأمم المتحدة بإعلان وقف إسرائيل لإطلاق النار، مع إنهاء فوري للعنف.
- القناعة بأن وقف إطلاق النار لن يضع حداً لمعاناة أهل غزة، بل لابد من تأكيد الإرادة السياسية لإيجاد حل سلمي دائم لكلتا الدولتين^(٢٤).

أهدافها من الحرب على أفغانستان بل وتسعى للخروج من المستنقع الأفغاني بأقل الخسائر الممكنة.

وقد ألفت ثقافة المقاومة فضلاً عن الأطر المرجعية الإسلامية لأفغانستان بظلالها على الموقف من العدوان الإسرائيلي على غزة وتحديداً الموقف غير الرسمي الذي هبّ غاضباً ناقماً على إسرائيل وحلفائها، واعياً لمدلول هذه الحرب الحضارية، وداعياً إلى الجهاد للدفاع عن الإسلام ولنصرة المسلمين في أرجاء الأمة الإسلامية. وذلك في مقابل موقف رسمي ضعيف متخاذل متواطئ مع حلفاء المعتدي.

أولاً: الخطابات والممارسات الأفغانية إزاء الحرب على غزة

١- الموقف الرسمي:

في اليوم التالي للعدوان الإسرائيلي أصدرت جمهورية أفغانستان الإسلامية بياناً إعلامياً أعربت فيه عن أنها «تتابع الهجمات الأخيرة التي تشنها إسرائيل على الشعب الفلسطيني البري» بقلق بالغ وتدينها بقوة، وأن قصف وقتل المدنيين لا يمكن تبريره بالسياسات التي تتبعها حماس». ثم أنهت بيانها بالمطالبة «بوقف فوري للهجمات على قطاع غزة ودعوة كلا الجانبين إلى كبح المناورات العسكرية»^(٢٠).

كما أصدرت وزارة الخارجية الأفغانية في اليوم ذاته بياناً أدان بقوة الغارات الجوية التي تشنها إسرائيل على قطاع غزة في فلسطين والتي خلفت مئات المدنيين بين قتيل وجريح^(٢١).

واتخذ نواب البرلمان الأفغاني موقفاً أكثر قوة - وإن جاء متأخراً- بإصدار بيان في السادس من يناير الماضي وصف الهجمات التي بدأت في ٢٧ من ديسمبر بأنها «هجومية»، مشيراً إلى أن نحو ألفي شاب من مختلف الولايات مستعدون للذهاب إلى قطاع غزة والدفاع عن الفلسطينيين المسلمين، محذراً من أن استمرار الغزو الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية سيدفع إلى قيام «انتفاضة في العالم الإسلامي ضد الكفار». واتهم النواب كذلك الرئيس الأمريكي جورج بوش بـ«تبرير هذه الجريمة الإسرائيلية المريعة» برفضه اتخاذ موقف ضدها، منتقدين زعماء العالم لصمتهم^(٢٢).

وعلى صعيد التحرك الرسمي دولياً طالب السفير زهير تانين -مندوب أفغانستان في الأمم المتحدة - مجلس الأمن الدولي - خلال مداوات تتعلق بحماية المدنيين في الصراعات المسلحة في الرابع عشر من يناير الماضي - بوقف فوري لإطلاق النار^(٢٣).

كما ألقى السفير الأفغاني بياناً في الجمعية العامة -الدورة الاستثنائية الطارئة العاشرة لبحث الأعمال الإسرائيلية غير القانونية التي انعقدت في السادس عشر من يناير الماضي، ويمكن إيجاز ما تضمنه البيان من نقاط في الآتي:

في الوقت الذي كانت جمهوريات آسيا الوسطى ملعباً مفتوحاً لإسرائيل بقيت في عالم النسيان من قبل العالم العربي والإسلامي

ب- الموقف النخبوي:

١- حركة طالبان:

نشر بالموقع الرسمي لإمارة أفغانستان الإسلامية - طالبان بيان للإمارة في اليوم التالي للعدوان حول استشهاد مئات من المسلمين في غزة: حيث أدانت ذلك الفعل من قبل الكيان الصهيوني الغاصب والمتجاوز على غزة: مؤكدة التضامن والمؤازرة للشعب الفلسطيني مع الدعاء بتقبل الشهداء والنصر على الأعداء. كما أكد البيان أن أمريكا وبريطانيا وعدة دول أوروبية وأطرافاً أخرى لها فيها يد مباشرة ومساندة في هذه الهجمة الوحشية الصهيونية الأخيرة على غزة، موجهاً انتقاده لمنظمة المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية للتقاعس في الدفاع عن حقوق ومطالب الشعب الفلسطيني. ثم انتهى البيان إلى أن السبيل الوحيد لنجاة الإسلام والمسلمين هو «أن تفيق الأمة الإسلامية من الغفلة والسبات، وتحيي روح الجهاد في نفسها، وتهزل عملاً إلى مساندة ومعاونة مسلمي فلسطين والعراق وأفغانستان، وتستعد إلى مقابلة ومبارزة العدو المشترك»^(٢٨).

وفي التاسع والعشرين من ديسمبر الماضي دعا مقاتلو حركة طالبان الأفغانية المسلمين في شتى أنحاء العالم إلى الاتحاد وشن حرب على إسرائيل رداً على الغارات الجوية التي تشنها الدولة اليهودية على قطاع غزة^(٢٩).

وقد تُرجم القول إلى عمل؛ حيث شهدت أفغانستان نهاية ديسمبر الماضي مزيداً من الهجمات الانتحارية انتقاماً لضحايا غزة: حيث دمر مقاتل حركة طالبان عربتين أمريكيتين في مديرية أندر في ولاية غزني، وقال الناطق باسم الحركة نبيح الله مجاهد إن العملية تأتي تضامناً مع أهالي غزة^(٣٠).

وفي أول وأكبر ظهور علني لحركة طالبان منذ سقوط الحكومة التي كانت تشكلها على يد القوات الأجنبية عام ٢٠٠١، تظاهر يوم الجمعة الموافق الثاني من يناير الماضي نحو ألفين من عناصر الحركة في بلدة أندر بولاية غزني جنوب غرب العاصمة الأفغانية كابل للتنديد بالعدوان الإسرائيلي على غزة، وقد ردد المتظاهرون هتافات تطالب العالم الإسلامي بنصرة أهل غزة ورفع الحصار عنهم، كما سجل مائة عنصر من طالبان أسماءهم للتطوع بالقيام بعمليات انتحارية ضد القوات

٢- الموقف غير الرسمي:

نظراً لتمييز ذلك الموقف الذي جاء قوياً عاكساً لمعنى التضامنية الأفغانية مع أحداث الأمة الإسلامية، فمن الأجدر في هذا المقام تصنيف هذا الموقف إلى المواقف الشعبية والمواقف النخبوية على النحو التالي:

أ- الموقف الشعبي:

شهدت أفغانستان مظاهرات واسعة بعد صلاة يوم الجمعة الموافق الثاني من يناير الماضي وذلك احتجاجاً على استمرار الهجمات الإسرائيلية على غزة. ففي كابول احتج آلاف الأفغان خارج أكبر مسجدين في أفغانستان وتجمع أكثر من ألف محتج خارج المسجد النبوي في كابول وهم يلوحون بأعلام حماس الخضراء ويرددون عبارة «الموت لأمريكا وإسرائيل وبريطانيا». وقاموا بإحراق دمية من الورق المقوي لرئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت. وقال أحد المحتجين: «نطالب الرئيس حامد كرزاي بأن يندد بهذا العمل. إنه رئيس بلد إسلامي... إذا لم يندد كرزاي بهذا العمل فإننا لن نقبل القوات الأجنبية في أفغانستان».

وفي مكان آخر سار نحو ألف محتج في وسط مدينة هرات وتجمعوا خارج مسجد وأحرقوا أعلاماً وهم يرددون عبارة «تسقط إسرائيل». وقال أحد رجال الدين أثناء الاحتجاج: «لقد اجتمعنا هنا لنعبر عن مشاركتنا للشعب الفلسطيني المقهور الأعزل من أجل عمل شيء صغير لشعب فلسطين المسلم»^(٣٥).

وفي الثامن من يناير الماضي سجل أكثر من ألف أفغاني أسماءهم للتعبير عن رغبتهم في الذهاب والقتال ضد إسرائيل في قطاع غزة، وألقى كثيرون منهم باللوم على الولايات المتحدة. وقال حبيب الله إمام مسجد ميلاد النبي ومنظم الحملة: «عدة مئات من الأفغان بينهم أطباء ومدرسون تطوعوا أيضاً للتبرع بالدم لمساعدة شعب فلسطين الذي يعاني البؤس». وقال أفغاني عند المسجد: «سوف أكون أسعد شخص يموت بجوار إخوتي المسلمين من أجل قضية نبيلة». وبينما الوصول إلى غزة من أفغانستان مسألة مستحيلة قال كثير من المتطوعين إنهم سينتقمون من القوات الأمريكية داخل أفغانستان^(٣٦).

وفي الجمعة الغاضبة خرج آلاف المتظاهرين الغاضبين في عدة مدن، رافعين الأعلام الفلسطينية، ولافتات تدعو بالموت لإسرائيل والولايات المتحدة، ودعوا إلى فتح باب الجهاد للدفاع عن الإسلام في فلسطين وغيرها.

وأعلن متظاهرون في إقليم هيرات الجهاد في إطار ما أسموه ب«الحرب المقدسة» ضد كل من يعترف بإسرائيل كدولة، في إشارة إلى جنود القوات الأمريكية والغربية المتواجدة بأفغانستان^(٣٧).

حل الأزمة من خلال طاولة المفاوضات، يرى الموقف غير الرسمي أن السبيل الوحيد هو الجهاد ضد المعتدي.

٢- عكس بيان النواب البرلمانيين تصاعد الغضب الشعبي ضد الهجمات الإسرائيلية على قطاع غزة، وكذلك ضد الولايات المتحدة الداعمة لإسرائيل.

٤- بروز الدلالات الحضارية في الخطابات غير الرسمية خاصة لحركة طالبان وكذلك التحركات الشعبية وذلك فيما يتعلق بالمسؤولية التضامنية بين أجزاء الأمة الإسلامية، واعتبار وجمع شهداء غزة مع شهداء أفغانستان في بوتقة واحدة، مع التنويه بواجب الدفاع عن الإسلام والمسلمين بالجهاد ضد العدو الراغب في تفتيت الأمة والقضاء على شوكة المسلمين.

٥- الانتقال من مستوى الخطاب إلى مستوى الفعل، وذلك بتطوع الآلاف من الشعب الأفغاني للقتال ضد القوات الإسرائيلية في غزة، فضلاً عن شن الهجمات ضد قوات الولايات المتحدة في أفغانستان.

٦- استغلال حركة طالبان أحداث غزة بإطلاق البيانات المتضمنة أن إسرائيل وحليفها الرئيس الولايات المتحدة تهدفان إلى تدمير الإسلام بما يضمن لها التأثير القوي على الرأي العام في أفغانستان، ومن ثم كسب مزيد من الأنصار، فضلاً عن إيجاد ذريعة شرعية لتصعيد العمليات الانتحارية ضد القوات الأجنبية في الداخل الأفغاني.

٧- الصمت الرسمي وغير الرسمي إزاء الوضع في غزة بعد وقف إطلاق النار، والعودة إلى الانهماك في الشأن الداخلي الخاص.

آسيا الوسطى

آسيا الوسطى كتلة جغرافية واحدة مكونة من خمس دول سوفيتية سابقة مستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق وهي: كازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان وتركمانستان وأوزبكستان.

وتمثل آسيا الوسطى امتداداً طبيعياً للعالم الإسلامي، تتنافس عليها القوى الكبرى؛ لمقدراتها النووية والاقتصادية وثرواتها النفطية ولعادتها النفيسة وموقعها الاستراتيجي المتميز^(٣٥).

وقد فتحت الثروات الهائلة التي تمتلكها الدول الخمس الشهيبة الإسرائيلية ودفعتها إلى التغلغل داخل هذه الدول، فأسرعت إلى الاعتراف بها وإقامة علاقات دبلوماسية معها بمجرد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، مع الاهتمام بتبادل الزيارات بين المسؤولين على أعلى مستوى، إلى أن تطور الأمر بإقامة علاقات عديدة منها مجالات حساسة كالمجال النووي

الأمريكية في أفغانستان باعتبارها الداعم الرئيس لإسرائيل في عدوانها على غزة^(٣٦).

٢- حركة الحزب الإسلامي:

في السابع من يناير الماضي حث الزعيم الأفغاني الهارب المطلوب من قبل الولايات المتحدة قلب الدين حكمتيار -الذي يتزعم حركة الحزب الإسلامي المناوئة للوجود الغربي في أفغانستان- المسلمين على التوحد وشن حرب ضد الولايات المتحدة بسبب دعمها المالي والعسكري لإسرائيل. ونُقل عن بيان صدر منه أن «الحزب الإسلامي لا يدين فحسب الغزو الإسرائيلي والهمجية ضد الفلسطينيين، لكن إذا سمحت الظروف سيرسل أيضاً مجاهدين للدفاع عن حماس ضد إسرائيل». مضيفاً أن لديه «الآلاف من المتطوعين المستعدين للتوجه إلى غزة للحرب ضد إسرائيل». وأن «هؤلاء الرجال مستعدون للتوجه في أي وقت، ونحاول إيجاد وسيلة لذلك»^(٣٧).

٣- تنظيم أهل السنة والجماعة:

عقب العدوان الإسرائيلي على غزة أعلن ناطق باسم ما يُعرف بتنظيم أهل السنة والجماعة في هيرات أن جماعته سينتقمون لأهل غزة من الأمريكيين بتنفيذ عمليات انتحارية^(٣٨).

٤- اتحاد علماء أفغانستان:

أصدر ذلك الاتحاد بياناً عقب العدوان مباشرة ندد فيه بالهجمات وبالصمت العربي والإسلامي^(٣٩).

ثانياً: الموقف الأفغاني.. رؤية تحليلية

يمكن تحديد بعض النقاط المستنبطة لموقف أفغانستان من أحداث غزة في الآتي:

١- ضعف بيانات الإدانة الصادرة عن الحكومة الأفغانية ووزارة الخارجية؛ حيث جاءت في صورة بيانات إعلامية. وتجدر الإشارة إلى التذمر الشعبي من عدم تنديد الرئيس حامد كرزاي بالعدوان، ويجوز أن يكون ذلك لعدم إثارة غضب الدول المساندة لإسرائيل والتي لها وجود على أراضي أفغانستان. كما تضمن بيان الحكومة تلميحاً للموقف الأفغاني الرسمي الراض لسياسات حماس، مع مطالبة كل من إسرائيل وحماس بضبط النفس. وهذا مغاير تماماً للموقف غير الرسمي الداعم لحماس معنوياً، فضلاً عن استعداده للدعم العملي في ساحات الجهاد.

٢- تركيز التحرك الرسمي الدولي البروتوكولي على الأوضاع الإنسانية الصعبة لأهل غزة، وانتهاك إسرائيل للمواثيق الدولية، مع التشديد على ضرورة إيجاد حل يضمن التعايش السلمي للدولتين، وهذا في مقابل الموقف الشعبي غير المعترف بقيام الدولة اليهودية الداعي للحرب المقدسة ضدها وضد داعميهها. فبينما يركز الموقف الرسمي على

تضمن التعبير عن القلق من تصعيد التوتر في قطاع غزة، وأن الصراع العربي الإسرائيلي لا يمكن أن يُحل باللجوء إلى القوة العسكرية، ومن ثم ضرورة توصل الطرفين لاتفاق وقف إطلاق النار والعودة لطاولة المفاوضات(٣٨).

وبرغم التزام حكومة قيرغيزستان الصمت إزاء مجزرة غزة، إلا أن مفتي البلاد وجّه خطاباً نيابة عن دولته طالب فيه بوقف الصراعات المسلحة بين فلسطين وإسرائيل التي تسببت في مقتل العديد من المدنيين(٣٩).

ولم يبق سوى تركمانستان التي تجاهلت الحدث بالكامل، حيث التزمت بمسلكها الحيادي السلبي إزاء التوترات الدولية والانشغال بالشأن الداخلي، وهذا الحياد يختلف عن الحياد الإيجابي لكل من جمهوريات كازاخستان وطاجيكستان وأوزباكستان.

٢- الموقف غير الرسمي:

على نحو مغاير عن الموقف الرسمي كان لأحداث غزة أصداء قوية في الأوساط الشعبية والنخبوية التي تعاطفت مع القضية الفلسطينية وعبرت عن وقوفها إلى جانب غزة ضد إسرائيل بوسائل عدة، نذكر منها:

أ- الموقف الشعبي:

انطلقت التظاهرات والأعمال الاحتجاجية في بعض عواصم ومدن دول آسيا الوسطى تعبيراً عن الغضب الشعبي والتضامن الإسلامي مع مأساة أهل غزة. وبرغم أن معظم تلك الفعاليات تقف وراءها قوى إسلامية كأحزاب وجمعيات وشخصيات، إلا أن هناك عدداً هائلاً من عامة الشعب ممن تأثروا بمشاهد القتل والدمار التي تنقلها وسائل الإعلام من غزة، وعبروا عن استنكارهم لهذه الوحشية الإسرائيلية عبر الاشتراك في مثل هذه التظاهرات(٤٠).

ففي كازاخستان أدى استمرار العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة إلى إثارة مشاعر الغضب والاستياء لدى الشعب وأعمال الاحتجاج المناهضة لإسرائيل(٤١).

وفي طاجيكستان خرجت تظاهرات للتنديد بالعدوان الإسرائيلي على غزة(٤٢).

وشهدت العاصمة القيزغيزية «بشكيك» أعمالاً احتجاجية بدعوة من اتحاد مسلمي قيرغيزستان، أعرب المتظاهرون فيها عن إدانتهم لأعمال إسرائيل العدوانية، وأحرقوا أعلامها في شوارع المدينة(٤٣).

وفي مشهد مثير للتقدير تضامن أبناء الجاليات الإسلامية لدول آسيا الوسطى في ألمانيا مع إخوانهم في غزة؛ حيث اشتركوا في مظاهرات مع أبناء الجاليات العربية والتركية

والفضائي، بالإضافة إلى التعاون الاقتصادي في مجالات شتى مع باقي دول آسيا الوسطى.

الواقع أن هناك حسابات استراتيجية مهمة وراء التغلغل الإسرائيلي داخل آسيا الوسطى، والتي تلاقت مع حسابات القوى الغربية وتحديداً الولايات المتحدة، والمتمثلة في تنامي الصحوة الإسلامية داخل هذه البلدان والخوف من قيام حكومات إسلامية بديلة عن الأنظمة الشيوعية البائدة تكمل الحزام الإسلامي الكبير الذي يربط إيران وأفغانستان وباكستان. لذا أسرعت إسرائيل بإقامة علاقات متشعبة داخل هذه الجمهوريات؛ لتقوية الأنظمة الحاكمة فيها للوقوف أمام المد الإسلامي. ومن أبرز مجالات التعاون في هذا الصدد: التعاون المخبراتي لمكافحة الإرهاب الإسلامي؛ حيث بدأ منذ أواسط التسعينيات تنفيذ برامج إسرائيلية لتدريب رجال المخابرات في جمهوريات آسيا الوسطى على أساليب مكافحة الإرهاب ونقل الخبرة الإسرائيلية في مكافحة ما تسميه الدولة الصهيونية الإرهاب الفلسطيني، وكان ذلك بمشاركة من المخابرات الأمريكية.

ومن ضمن الحسابات الاستراتيجية الكامنة خلف التغلغل الإسرائيلي: ضمان منع وصول أسلحة أو تكنولوجيا نووية أو تقليدية متطورة ورثتها دول آسيا الوسطى عن الاتحاد السوفيتي السابق إلى الدول العربية أو إلى إيران(٣٦).

وفي الوقت الذي كانت فيه جمهوريات آسيا الوسطى ملعباً مفتوحاً لإسرائيل، بقيت تلك الجمهوريات في عالم النسيان من قِبل العالم العربي والإسلامي، برغم أنها كانت شريكاً للعرب في بناء الإمبراطورية العربية الإسلامية والحفاظ عليها والمساهمة في الإنتاج الثقافي العربي، حيث ظلت تلك الخلفيات التاريخية مجرد أعماق نظرية غير مُفعلة على أرض الواقع، فلم يرقم العرب علاقات دبلوماسية مباشرة معها (حيث إن معظم السفراء العرب غير مقيمين)، ولم يزيدوا حجم المبادلات التجارية ولا تم تبادل الخبرات ولا الاستفادة من التراكم الثقافي فيما بينهم(٣٧).

كانت هذه لمحة سريعة عن علاقة آسيا الوسطى بطرفي الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وإمكانية تخيل رد الفعل من أحداث غزة الذي وإن أمكن تحديده على المستوى الرسمي للحسابات السياسية، فإنه يتعذر ذلك على المستوى غير الرسمي خاصة مع بروز ملامح الصحوة الإسلامية برغم قمع واضطهاد الحكومات العلمانية القائمة.

أولاً: الخطابات والممارسات لدول آسيا الوسطى إزاء أحداث غزة

١- الموقف الرسمي:

أصدرت وزارة خارجية كل من كازاخستان وطاجيكستان وأوزباكستان بيانات محايدة النبذة حول الوضع في غزة،

الامة برغم ضعفها وتصعد كيانها لم تمت وما زالت قادرة على النهوض من جديد

غزة. وطالب نائب زعيم الحزب محيي الدين كابييري -خلال اجتماع شارك فيه حوالي ٢٠٠٠ شخص من الحكومة الطاجيكية- بإدانة إسرائيل والسماح للحزب بتنظيم الفعاليات الاحتجاجية، مؤكداً «أن هذا صوت الطاجيكيين برمتهم، وصوت سكان آسيا الوسطى، واستمراراً لما يقوم به إخواننا المجاهدون في فلسطين»^(٤٩).

ثانياً: موقف دول آسيا الوسطى... رؤية تحليلية

١- وقعت حكومات دول آسيا الوسطى خلال مجزرة غزة بين شقي الرحي: فهي من جانب ترتبط بعلاقات قوية مع كل من إسرائيل والولايات المتحدة، ومن جانب آخر تتعرض لضغوط شعبية قوية مطالبة بالوقوف إلى جانب غزة ضد إسرائيل. لذا لجأت تلك الحكومات إلى سياسة الحياد الإيجابي بإصدار بيانات رسمية بوقف العنف وحل الأزمة سلمياً دون إدانة للعدوان الإسرائيلي، وقد تأخر صدور هذه البيانات لأكثر من عشرة أيام من بدء العدوان.

٢- ما أن توقفت الهجمات الإسرائيلية وتم إعلان وقف إطلاق النار حتى رُفع الحرج عن الحكومات في استئناف علاقاتها القوية بإسرائيل، فسرعان ما أعلنت وزارة الدفاع الكازاخستانية عن رغبتها في إنشاء مؤسسات مشتركة مع إسرائيل بهدف تحديث صناعتها العسكرية وتصنيع أسلحة تتطابق مع معايير الحلف الأطلسي^(٥٠). وعلى هامش المؤتمر الاقتصادي العالمي في دافوس أكد الرئيس الكازاخي باييف في اجتماع مع شيمون بيريز مصلحة بلاده في تفعيل العلاقات الاقتصادية الثنائية مع دولة إسرائيل، فضلاً عن تفاعل الثنائي لإيجاد حلول للمشكلات المهمة في السياسات العالمية^(٥١). والأمل معقود على الأوساط غير الرسمية في استمرار التعبير عن الغضب الإسلامي لفلسطين، بما يشكل مزيداً من الضغوط على الحكومات لتكف عن التعاون المفتوح مع إسرائيل، وهذا بدوره يتطلب اهتماماً أكبر من جانب الدول العربية بهذه الجمهوريات المنسية وتكثيف العلاقات فيما بينها.

٣- يعطى خروج التظاهرات والأعمال الاحتجاجية الخاصة بإحدى القضايا الإسلامية مؤشراً لتنامي الصحة الإسلامية و بروز الهوية الإسلامية، بما يثبت فشل مخططات الأنظمة العلمانية والسياسة الإسرائيلية والغربية الهادفة للقضاء على المد الإسلامي داخل هذه الدول.

والإيرانية انطلقت في مختلف المدن الألمانية احتجاجاً على المجازر التي ترتكبها إسرائيل في قطاع غزة. ورفع المتظاهرون أعلاماً فلسطينية ولبنانية وتركية ولافتات تضمنت عبارات تندد بالمجازر الإسرائيلية وكذلك صوراً للجرحى والقتلى من الأطفال والنساء هناك^(٤٤).

ب- الموقف النخبوي:

انحصر هذا الموقف في النخب والكيانات الإسلامية في إشارة إلى تجدد الهوية الإسلامية داخل دول آسيا الوسطى والتفاعل الإيجابي مع قضايا العالم الإسلامي.

ففي اليوم التاسع للعدوان صدر بيان عن اتحاد المسلمين في قيرغيزستان يطالب بوقف فوري لإطلاق النار في قطاع غزة، معرباً عن قلقه على سلامة أهل غزة في ظل استمرار الهجمات الإسرائيلية على حماس، وقد أرسل الاتحاد هذا البيان لسفارات كل من الولايات المتحدة والصين وروسيا^(٤٥).

وكان الاتحاد قد دعا أنصاره للمشاركة في مظاهرة احتجاجية في العاصمة بشكيك. كما قام بالتخطيط لإجراء فعاليات واسعة النطاق لدعم الفلسطينيين إذا لم يوقف المجتمع الدولي العدوان الإسرائيلي.

وقد دفع هذا الموقف التضامني من الاتحاد أحد المراقبين السياسيين في قيرغيزيا للتعبير عن قلقه من أن «احتدام الوضع في فلسطين سيعطي دفعة لظاهرة تسييس الإسلام». منوهاً بوجود «ساسة يستعملون الإسلام لأغراضهم الشخصية بما أُلحق الضرر بموقف الإسلام المعتدل والعقلاني، بينما تنامت ميول الإسلام المتشدد»^(٤٦).

تجب الإشارة في هذا الموضوع إلى أنه برغم عدم إدانة العدوان الإسرائيلي من جانب دولة قيرغيزستان سواء على المستوى الرسمي أو غير الرسمي، إلا أن الفكر العلماني المسيطر يأبى مجرد التعبير عن الغضب أو التفاعل إيجابياً مع أبرز الأزمات الإسلامية الحالية.

وقد صدر بيان عن اتحاد المسلمين في كازاخستان واللجنة الإسلامية لحقوق الإنسان في آسيا الوسطى أدان العدوان الإسرائيلي وطالب بوقفه. كما دعا البيان الأحزاب السياسية والمنظمات الاجتماعية والدينية في كازاخستان وبقية بلدان آسيا الوسطى لإدانة أعمال إسرائيل العدوانية المتواصلة ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة وقتل السكان المدنيين^(٤٧).

ونظراً لأن الحركة الإسلامية في طاجيكستان أنشط وأقوى الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى، عبرت عن هذه القوة من خلال تفعيل الساحة السياسية وإثارته ضد السلطات الشيوعية^(٤٨)، كان لحزب النهضة الإسلامية المعارض بطاجيكستان دور مميز؛ حيث أدان ممارسات إسرائيل في

(٣) باكستان تؤكد دعمها للمواقف والمبادرات العربية الخاصة بالقضية الفلسطينية

<http://www.kuna.net.kw/NewsAgenciesPublicSite/ArticleDetails.aspx?id=1880489&Language=ar>

(4) Statement of the Minister of State of Foreign Affairs of Pakistan H.E. Nawabzada Malik Amad Khan at the OIC Executive Committee Ministerial Meeting in Jeddah, 3 January 2009.

http://www.mofa.gov.pk/MOS_Speeches_Briefings/MOS_03_01_09.htm

(٥) باكستان تدعو مجلس الأمن الدولي لتوفير الحماية للفلسطينيين في غزة

<http://www.wam.ae/servlet/Satellite?c=WamLocAnews&cid=1226858063215&p=1135099400077&pagename=WAM%2FamLocAnews%2FW-T-LAN-FullNews>

(6) How has Pakistan responded to the ongoing Israeli aggression in Gaza

http://www.mofa.gov.pk/Spokesperson/2009/Jan/Spokes_15_01_09.htm

(7) Pakistans Assistance For The People Of Gaza, http://www.mofa.gov.pk/Press_Releases/2009/Jan/PR_43_09.htm

(٨) الباكستانيون ينتفضون لغزة وسط انتقادات للحزب الحاكم

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/A4846AB5-BD17-43F8-86BD-1B2A2969F4E2.htm>

(٩) رئيس وزراء باكستان يدين الغارات الجوية الإسرائيلية في غزة

http://arabic.china.org.cn/international/archive/bayi/2008-12/29/content_17028196.htm

(١٠) الجمعة الغاضبة تشعل احتجاجات عشرات الآلاف بأسيا

http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1230650233408&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout

(١١) مسلمو آسيا ينتفضون لغزة في الجمعة الغاضبة

http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1230650233408&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout

٤- استغلّت بعض القوى السياسية داخل هذه الدول أحداث غزة للدعاية لنفسها وكسب قلوب المواطنين^(٥٢).

٥- غياب موقف تركمانستان على المستويين الرسمي وغير الرسمي قد يفسره القمع السياسي الداخلي وتقليص الحركة الإسلامية، بالإضافة إلى اهتمام تركمانستان بالعلاقات الاقتصادية في المقام الأول، وهو موقف يعد غريباً بالمقارنة بدول الجوار وخاصة إيران وأفغانستان وأذربيجان.

خاتمة:

انتهت الأسابيع الثلاثة من القصف والحرق والدمار لقطاع غزة بالعزة والنصر للمقاومة الصامدة الصابرة والتضامن والتكاتف الإسلامي معها وبالهزيمة النفسية والتصدع الداخلي للكيان الإسرائيلي المعتدي.

وانتصرت أيضاً الأوساط غير الرسمية بالأمة الإسلامية التي ساندت المقاومة وحثتها على الصمود ممارسةً ضغوطاً قوية على المستويين الرسمي المحلي والدولي، فضلاً عن قدرتها على إدراك طبيعة تلك الحرب الحضارية والتصريح بها وطرح سبل مواجهتها.

وكل ذلك يؤكد أن الأمة -برغم ضعفها وتصدع كيائها- لم تمت وما زالت قادرة على النهوض من جديد، ولكن استنهاضها سيظل دائماً مرتبطاً بالعمل الجاد على استغلال الفورة الشعبية والبعد عن التأثر اللحظي ورد الفعل المؤقت.

أما حكومات الأمة الإسلامية فتحتاح إلى توحيد جهودها واستثمار الروابط العقدية والتاريخية والثقافية المشتركة فيما بينها في بوتقة حضارة إسلامية متينة قادرة على الصمود أمام مخططات تدميرها.

الهوامش:

(1) President Asif Ali Zardari Condemns Israeli Attacks In Gaza

http://www.mofa.gov.pk/Press_Releases/2008/Dec/PR_415_08.htm

Prime Minister Condemns Attacks On Gaza

http://www.mofa.gov.pk/Press_Releases/2008/Dec/PR_416_08.htm

(2) The Foreign Minister Expresses Concern Over Situation In Gaza

http://www.mofa.gov.pk/Press_Releases/2008/Dec/PR_413_08.htm

(٢٥) مظاهرات واسعة بمصر والأردن وتركيا وكشمير وأفغانستان احتجاجاً على غزة

<http://forums.moheet.com/showthread.php?t=5427>

(٢٦) أفغان يتطوعون للقتال ضد القوات الإسرائيلية في غزة

<http://www.swissinfo.org/ara/news/international.html?siteSect=143&sid=10174074&cKey=1231428561000&ty=ti>

(٢٧) مسلمو آسيا ينتفضون لغزة في الجمعة الغاضبة، مصدر سبق ذكره.

(٢٨) بيان إمارة أفغانستان الإسلامية حول استشهاد مئات من المسلمين في غزة

<http://www.muslim.net/vb/showthread.php?t=324168>

(٢٩) طالبان الأفغانية تطالب المسلمين بشن حرب على إسرائيل

<http://www.alarabiya.net/articles/2008/12/29/63037.html>

(٣٠) هجمات متصاعدة في أفغانستان انتقاماً لضحايا غزة

<http://www.alssiyasi.com/?browser=view&EgyxpID=13395.html>

(٣١) طالبان تتظاهر في غزني تنديداً بالعدوان الإسرائيلي على غزة

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/2FE071CA-BF28-4C39-BDD9-2882ECC6A53A.htm>

(٣٢) زعيم أفغاني مطلوب يعرض إرسال مقاتلين إلى غزة

<http://www.masrawy.com/News/MidEast/Reuters/2009/January/7/682213.aspx.htm>

(٣٣) هجمات متصاعدة في أفغانستان انتقاماً لضحايا غزة، مصدر سبق ذكره.

(٣٤) المصدر السابق.

(٣٥) من أولى بمعرفة آسيا الوسطى والاستثمار فيها؟

<http://www.felesteen.ps/Index.php?action=showwrite&id=633.htm>

(٣٦) انظر الصفحات الخاصة بعناصر دول آسيا الوسطى على موقع:

<http://www.islamicnews.net/>

(٣٧) إهمال العرب للجمهوريات المنسية

(١٢) آلاف النساء في باكستان يتظاهرن ضد محرقة غزة

<http://eslaah.net/>

[le3.php?id=2822&baab=10&kesm=58](http://eslaah.net/le3.php?id=2822&baab=10&kesm=58)

(١٣) أطفال باكستان يتضامنون مع غزة

<http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=63760&>

(١٤) الباكستانيون ينتفضون لغزة وسط انتقادات للحزب الحاكم، مصدر سبق ذكره.

(١٥) المصدر السابق.

(١٦) ٩٩ عاماً وشخصية إسلامية يحدون الموقف الشرعي من أحداث غزة

<http://www.lahaonline.com/index.php?option=content§ionid=1&id=15499&task=view>

(١٧) آلاف النساء في باكستان يتظاهرن ضد محرقة غزة، مصدر سبق ذكره.

(١٨) مسلمو آسيا ينتفضون لغزة في الجمعة الغاضبة، مصدر سبق ذكره.

(١٩) الباكستانيون ينتفضون لغزة وسط انتقادات للحزب الحاكم، مصدر سبق ذكره.

(20) Press Release On Israeli Attacks On Gaza Strip

<http://www.mfa.gov.af/detail.asp?Lang=e&Cat=2&ContID=914>

(٢١) أفغانستان تشجب الهجمات الجوية الإسرائيلية على غزة

<http://www.tihamah.net/show1363.html>

(٢٢) ألفا أفغاني مستعدون للتوجه إلى غزة

<http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=61675&SecID=91&IssueID=0>

(23) STATEMENT BY. Ambassador Zahir at the Security Council

<http://www.mfa.gov.af/detail.asp?Lang=e&Cat=1&ContID=922>

(24) STATEMENT BY H.E. Ambassador Zahir Tanin at the 10th Emergency Special Session on the Illegal Israeli Actions

<http://www.mfa.gov.af/detail.asp?Lang=e&Cat=1&ContID=923>

(٤٤) عشرات الآلاف يتظاهرون في ألمانيا احتجاجاً على المجازر الإسرائيلية في غزة

<http://www.kuna.net.kw/NewsAgenciesPublicSite/ArticleDetails.aspx?id=1966922&Language=ar>

(45) Kyrgyz Muslims Call For Peace In Gaza

http://www.rferl.org/content/Kyrgyz_Muslims_Call_For_Peace_In_Gaza/1366555.html

(٤٦) مواقف محايدة لجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وغضب جماهيري من هجوم إسرائيل على غزة.

<http://www.elaph.com/Web/Politics/2009/1/398599.htm>

(٤٧) تواصل التظاهرات تضامناً مع غزة وتنديداً بالمجازر الإسرائيلية... سيل من الأحذية على السفارة الإسرائيلية في بيونس آيرس، مصدر سبق ذكره.

(٤٨) عناصر دولة طاجيكستان

<http://www.islamicnews.net/>

(٤٩) مواقف محايدة لجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وغضب جماهيري من هجوم إسرائيل على غزة، مصدر سبق ذكره.

(٥٠) كازاخستان ترغب في التعاون العسكري مع إسرائيل

http://us.moheet.com/show_news.aspx?nid=214991&pg=2

(51) Nazarbayev held a number of bilateral meetings in Davos

http://www.kt.kz/index.php?lang=eng&act=arch&uin=1133435176&chapter=1153476007&n_date=2009-01-30

(٥٢) أصداء غزة، مصدر سبق ذكره.

<http://muslimzbekistan.net/ar/centralasia/mediawatch/detail.php?ID=16092>

(38) Statement by the Ministry of Foreign Affairs of the Republic of Kazakhstan on the situation in Gaza Strip

<http://www.mofa.go.jp/announce/fm/kawaguchi/index.html>

Tajik MFA makes statement over the conflict in the Gaza Strip

<http://www.asiaplus.tj/en/news/48/44775.html>

Statement of the Ministry of Foreign Affairs of the Republic of Uzbekistan

http://mfa.uz/eng/press_and_media_service/news_and_events/050109e_1.mgr

(39) Kyrgyzstan's Muftiyat deeply concerned with Gaza violence

<http://news-en.trend.az/islam/1392519.html>

(٤٠) أصداء غزة

<http://208.109.168.188/html>

details.php?docId=68789&issueNo=383&secId=15

(٤١) تواصل التظاهرات تضامناً مع غزة وتنديداً بالمجازر الإسرائيلية... سيل من الأحذية على السفارة الإسرائيلية في بيونس آيرس

http://furat.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=27133019220090118025652

(٤٢) أصداء غزة، مصدر سبق ذكره.

(٤٣) تواصل التظاهرات تضامناً مع غزة وتنديداً بالمجازر الإسرائيلية... سيل من الأحذية على السفارة الإسرائيلية في بيونس آيرس، مصدر سبق ذكره.

